مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
Eissn :2600-643x Issn : 2353-0529
المجلد: 11/ العدد: 01 (2023)، ص: 71-81

مقاصد الشريعة وعلاقتها بمداخل التغير الاجتماعي

The purposes of Shariaa and its relationship the entrances social change

أ.د سوهيلة لغرس[1].

[1] جامعة مصطفى اسطمبولي -معسكر (الجزائر).

Souhila.laghresse@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2023/03/03 تاريخ القبول: 05 /2023/03 تاريخ النشر: 2023/03/14

ملخص:

يعتبر التغير سنة الحياة، وهذا ما يعني أن التغير الاجتماعي يمس الأنظمة الاجتماعية ككل، وفي هذا السياق نشير إلى وجود علاقة بين الدين والتغير الاجتماعي وهي مسألة أساسية في فهم وإيضاح الحياة الدينية والاجتماعية، وعليه نركز في هذه المقالة على مفهوم التغير الاجتماعي من منظور إسلامي.

ففي الجزء الأول من المقالة قدمنا تعريف للتغير الاجتماعي ومقاصد الشريعة. وفي الجزء الثاني تطرقنا إلى التعريف بأهمية مصادر الفكر الإسلامي في تفسير ظاهرة التغير الاجتماعي.

وفي الأخير، عرضنا العلاقة الموجودة بين مقاصد الشريعة ومداخل التغير الاجتماعي.

كلمات مفتاحية: التغير الاجتماعي- مقاصد الشريعة- الإسلام- علم الاجتماع- المجتمع.

Abstract:

Change as the destiny of humanity, In this sense, social change refers to rooted and permanent changes in society's structure and the established social system. In this context, the

relationship between religion and social change is an essential issue in understanding and significating religious and social life.

The article focused on concept social change from the perspective of islam. In the first part of the article we have presented difinition of the social change and purposes of Shariaa.

The second parts of article aims identifying the importance of sources in Islamic thought explaining social change.

Finally, we have presented the relationship between social change and purposes of Shariaa.

Keywords: social change- purposes of Shariaa- Islam- Sociology- society.

***المؤلف المرسل:** أ. د سوهيلة لغرس.

1. مقدمة

يجب نسعى في هذه المقالة لفهم ظاهرة التغير الاجتماعي من خلال ربطها بمقاصد الشريعة الإسلامية، فالتغير الاجتماعي يعتبر من المواضيع المحورية والمركزية في العلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة، هذا الأخير (علم الاجتماع) الذي ساهمت في تشكيله المداخل الإسلامية ونخص بالذكر المدخل المقاصدي الذي نجم عنه ما يسمى بعلم الاجتماع المقاصد، الذي يرى أن المقاصد في حالة تشغيلها وتفعيلها لا يمكن أن تؤصل على أرض الواقع إلا من خلال معرفة الوسط المحيط بها والشروط المجتمعية التي تؤثر في عناصر فقه ذلك الواقع والتعامل معه"(سيف الدين عبد الفتاح. 2007. ص:59).

كما "أن علم الاجتماع المقاصد ينطلق إلى صياغة مباحثه ضمن أصول بنيات النظريات الفرعية السبعة التي تتعلق بالمقاصد كنظرية المجالات الاجتماعية، ونظرية الأولويات والمراتب الاجتماعية، نظرية الحفظ الاجتماعي،

نظرية الموازين الاجتماعية، نظرية الوسائل والآليات والأدوات الاجتماعية ونظرية الواقع الاجتماعي وأصول الفقه"(سيف الدين عبد الفتاح. 2007. ص:59).

هذه النظريات التي ساهمت بصورة أو بأخرى في بناء وصياغة مختلف النظريات الاجتماعية كنظرية المجالات الاجتماعية التي ساهمت في بناء مبادئ النظرية البنائية -الوظيفية، في حين نجد نظرية الأولويات والمراتب الاجتماعية قد ساهمت بدورها في ظهور النظرية الصراعية لكارل ماركس، أما نظرية الحفظ الاجتماعي ما هي إلا انعكاس للنظرية التفاعلية الاجتماعية، وفي هذا المعنى يمكننا القول إن ظهور علم الاجتماع وتحديد موضوعه ومنهجه يعود تاريخه إلى الفكر الإسلامي الذي ساهم وعرف بظهور وتقدم العلوم بمختلف فروعها كالطب، الرياضيات، الفيزياء،...الخ.

ومن بين اهتمامات علم الاجتماع المقاصد هو الاهتمام بمقاييس الاجتماعية والتي تعتبرها في منهجية العلوم الاجتماعية كمؤشرات نتعرف من خلالها على ظاهرة ما، وكنموذج على ذلك نشير إلى مقياس الفساد عند ابن خلدون كنموذج طرح من خلاله مجموعة من المؤشرات التي تدل على وجود الفساد في المجتمع(الدولة) كزيادة معدلات البطالة، القصور في قيام الدولة بوظائفها الخمس(حفظ الدين، حفظ المال، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل) على أساس أنها وظائف أساسية لمعاش الأفراد، زيادة الفقر، الترف،... .

ومما سبق ذكره، يتضح لنا العلاقة الوطيدة والقوية بين علم الاجتماع والمذهب المقاصدي، هذه العلاقة التي ولدت ما يسمى بعلم جديد ألا وهو علم الاجتماع المقاصد، وعليه سنتناول في هذه المقالة مجموعة من العناصر التي تبرز تجليات ومظاهر هذه العلاقة وذلك بالاجابة على التساؤلات التالية:

-ما ذا نعني بالتغير الاجتماعي من المنظور الإسلامي؟

-وفيما تكمن علاقة مقاصد الشريعة بمداخل التغير الاجتماعي؟

للإجابة على هذه الأسئلة يتطلب الأمر منا تتبع الخطوات التالية:

2. مدخل مفاهيمي:

نتناول في هذا العنصر مجموعة من المفاهيم ألا وهي تعريف التغير الاجتماعي في الفكر الغربي وفي الفكر الإسلامي وكذلك تعريف مقاصد الشريعة، حتى نستطيع توضيح مسار بحثنا هذا.

1.2 مفهوم التغير الاجتماعي:

تتعدد وتتنوع التعاريف التي تناولت مفهوم التغير الاجتماعي، وذلك راجع لطبيعة المفهوم الذي يتميز بالتعقيد تارة وبالغموض تارة أخرى ومن هذه التعاريف نذكر ما يلي:

-تعريف التغير الاجتماعي في الفكر الغربي: يرى **فروجرز (e. Rogers)**أن التغير الاجتماعي يشير إلى العملية التي يتم من خلالها تعديلات في بناء ووظيفة النسق الاجتماعي، ويتكون البناء من مختلف الإمكانات لدى الجماعات والأفراد الذين يشكلون هذا البناء، أما العنصر الوظيفي ضمن البناء فهو الدور أو السلوك الفعلي للفرد في مكانة معينة، لذا فإن التغير لدى فروجرز عملية وليس حالة ولكونه عملية فليس له بداية أو نهاية وهو مستمر عبر الزمن"(الصالح مصلح. 2002. ص: 51).

في حين يعرف **فيرتشيلد(viertghild)** التغير على أنه: "أي تغير يعتري العمليات الاجتماعية أو النظم الاجتماعية أو التكوينات الاجتماعية، وقد يكون التغير تقدميا أو تأخريا، ثابتا أو مؤقتا، مخططا أو عير مخطط، موجها أو غير موجه، مفيدا أو ضارا"(عمر الجولاني فادية.2004. ص: 13).

إضافة إلى هذه التعاريف نجد **إميل دوركايم (E, durkheim)**يعرف التغير الاجتماعي بأنه "كل تغير يشير إلى التحولات التي تفرض على الأفراد".(Alexis trémoulinas.2006.p : 07)

إذن: التغير الاجتماعي عند إميل دوركايم هو ظاهرة اجتماعية، ومن مميزاتها أنها تأخذ طابع الإلزام أو الجبر الاجتماعي وهذا ما يؤدي بنا للقول أن التغير الاجتماعي له طابع إجباري يعني يحدث خارج إرادتنا (إرادة الإنسان أو إرادة المجتمعات)، بعبارة مختصرة للتغير الاجتماعي طابع الحتمية.

-تعريف التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي: يستخدم التغير الاجتماعي في نطاق الفكر الإسلامي وفقا للمعنى القرآني لكلمة التغيير والتي جاءت على وجهين: الأول تغيير صورة الشئ دون ذاته، والثاني تبديله بغيره"(محمد عبد المجيد حنان. ص: 15)، كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى:"**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**"(سورة الرعد:11).

يعرف **جمال الدين الأفغاني** التغير على أنه سنة الله في الأرض، وأن الله لا يخلف وعده ووعيده"(محمد عبد المجيد حنان. 2011. ص: 159)، وهذا ما يعني حتمية التغير الاجتماعي.

ويعرف **الإمام محمد عبده** التغير الاجتماعي على أنه"سنة إلهية ترتبط بالطبيعة الإنسانية، على أساس أن التغير يشير إلى الاختلاف الطبيعي بين سائر البشر"(محمد عبد المجيد حنان. 2011. ص: 160).

أما **مالك بن نبي** فنجده "يفرق بين التغيير والتغير الاجتماعي بأن التغيير الاجتماعي ظاهرة تقدم أو نمو يحقق بناء حضارة وفق قانونها، يتجلى ذلك من خلال تدخل الإنسان بالتخطيط، أما التغير الاجتماعي فهو ظاهرة تلقائية تسير حسب القانون وتشمل التغير نحو الأسوأ أو الأفضل"(محمد عبد المجيد حنان. 2011. ص: 160).

ومما سبق ذكره، يتضح لنا أن تعريف التغير الاجتماعي سواء في الفكر الغربي أو الفكر الإسلامي يتلخص في مجموعة من المميزات والخصائص وهي كالتالي: -التغير الاجتماعي هو ظاهرة عامة تشمل كل المجتمعات.

-يتميز التغير بالحتمية وهذا ما يجعله مستمرا في الزمان والمكان.

-يشمل التغير الاجتماعي مختلف الأنظمة الاجتماعية، السياسية، الدينية، الاقتصادية، التربوية،....سواء في البناء أو الوظيفة.

-يحدث التغير تجديدات في حياة الأفراد.

-يحدث التغير الاجتماعي نتيجة عوامل داخلية وخارجية.

التغير الاجتماعي قد يكون مخطط له أو غير مخطط له أي تغير تلقائي.

2.2 مقاصد الشريعة:

قبل التطرق لتعريف مقاصد الشريعة يتطلب الأمر منا معرفة ماذا نعني بالمقاصد؟

-**تعريف المقاصد**: ونعني بها "المباحث الذاتية لأي علم من العلوم" (العبيدي عباس علي حميد. 2012 . ص: 1272).

بمعنى خصوصيات التي يتميز بها كل علم عن غيره من العلوم سواء في الموضوع، المنهج، النظرية، النتائج،...الخ.

-**تعريف مقاصد الشريعة**: لقد عرفها العلماء والباحثين أمثال العلامة الطاهر بن عاشور بأنها "هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة" (العبيدي عباس علي حميد. 2012 . ص: 1272).

في حين يعرفها الدكتور وهبة الزحيلي بأنها: "المعاني والأهداف الملحوظة في جميع أحكامها أو معظمها أو هي الغاية من الشريعة والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها" (العبيدي عباس علي حميد. 2012. ص: 1272).

3. التغير الاجتماعي في ضوء الإسلام:

نسعى في هذا المبحث لإبراز الرؤية الإسلامية في تفسيرها لظاهرة التغير الاجتماعي، بحيث سنعمل على طرح المصادر المعتمدة في تفسير الظاهرة التي

تتلخص في الوحي والوجود وكذلك سنعمل على تقديم مقاصد الشريعة وعلاقتها بالتغير الاجتماعي، وسيكون الطرح كالآتي:

1.3 التغير الاجتماعي في ضوء المصادر الإسلامية:

نتطرق في هذا العنصر للحديث عن الفكر الإسلامي الذي يعتمد على عدة مصادر للمعرفة، "المصدر الأول هو الوحي(الكتاب والسنة) أما المصدر الثاني فهو الوجود، وعندما يتناول الفكر الإسلامي قضايا الوجود والكون والعلاقات الإنسانية والقواعد الأساسية في السلوك والأخلاق وغيرها من القضايا الإنسانية والاجتماعية، لا ينطلق من الفرض العقلي المجرد، بل يستند أولا إلى الوحي، ثم إذا تعلق الأمر بقضايا عامة لم يتناولها النص، فهي قضايا اجتهادية، ولكن يتم الاعتماد على قواعد الشرع العامة وتوجيهاته وغاياته ومقاصده عند استخدام مناهج الحس والتجربة والعقل" (محمد عبد المجيد حنان، 2011. ص: 80/79).

وفي هذا المعنى يتضح لنا، أن الفكر الإسلامي يتميز بالشمولية والتنوع في تناوله للوعي والمعرفة ضمنيا وظاهريا، دينيا ودنيويا، ماديا ومعنويا، مثاليا وواقعيا، عقليا وحسيا،...وغيرها من عوالم الحياة.

فالفكر الإسلامي عند دراسته للظواهر الإنسانية والاجتماعية "يعتمد على المنهج القرآني في التنزيل، ومن الأسلوب القرآني في الاستدلال والجدل والحوار العقلي"(محمد عبد المجيد حنان. 2011. ص: 81).

استنادا إلى ما تقدم، نشير إلى أن المدخل الإسلامي عند دراسته لظاهرة التغير الاجتماعي يعتمد على قاعدتين وهما:

"**القاعدة الأولى:** تتمثل فيما قدمه القرآن الكريم من نماذج تاريخية واقعية شكلت خلاصة التجربة التاريخية الإنسانية في عصور مختلفة، وهذه النماذج عرضت أشكالا مختلفة للنهوض والسقوط الحضاري، وبينت علل وعوامل التغير

الاجتماعي المختلفة السياسية، الاجتماعية والاقتصادية. مما جعلها بمثابة شواهد يمكن الاستدلال بها على القوانين والسنن التي تحكم حركة التاريخ وترسم اتجاه التغير الاجتماعي.

القاعدة الثانية: تتعلق بالدراسة الواقعية والصحيحة للظروف الاجتماعية للمجتمعات المختلفة، مما يساعد في تطوير معايير اجتماعية-إسلامية لتغيير المجتمع وإصلاحه. فالقرآن الكريم يدعوا إلى دراسة النماذج الواقعية القائمة التي لم يرد ذكرها عن طريق الوحي، حيث يتأكد هذا التوجيه القرآني" (محمد عبد المجيد حنان. 2011. ص: 81) في **قول الله تعالى: "قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**"(سورة آل عمران:137-138).

ما هو جدير بالذكر، أن الفكر الإسلامي يعتمد على القرآن الكريم لأنه منهج سليم يراعي ويوازن بين الفكر والواقع من جهة وبين الفرد والمجتمع من جهة أخرى، وبالتالي فهو لا يهمل أو يقلل من العلاقة بين هذه العناصر الأربعة (الفكر والواقع، الفرد والمجتمع).

2.3 مقاصد الشريعة وعلاقتها بالتغير الاجتماعي:

لإبراز علاقة مقاصد الشريعة بالتغير الاجتماعي سنعمل على طرح المدخل الإصلاحي والمدخل الثوري التحريري كنماذج، ولكن قبل التطرق لذلك يجدر بنا الإشارة إلى أن مقاصد الشريعة تحددت في خمسة أمور وهي: حفظ الدين- حفظ النفس - حفظ العقل- حفظ النسل-حفظ المال وهي أمور لو اختلت منها واحدة لحدث اختلال في حياة الاجتماعية برمتها، وذلك من خلال التغير الذي يطرأ عليها. لأن التغير ضروري وهو سنة الحياة لأنه يهدف للحفاظ على نظام الأمة وإعادة خلق التوازن النظام الاجتماعي، ومن ثم تنوعت مداخل التغير بالرغم من أن الهدف واحد ألا وهو تحقيق مقاصد الشريعة، وتتلخص هذه المداخل فيما يلي:

-المدخل الأول هو إصلاحي: ويتعلق بإصلاح العقيدة -عقيدة التوحيد- هذه العقيدة التي وجدت قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم بناءا على ما جاء في القرآن الكريم بقوله تعالى: "**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى**"(سورة الشورى: 13).

وهذا ما يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء لتأكيد وتصحيح هذه العقيدة من الانحرافات والشعوذة ومختلف الممارسات المخالفة للدين الإسلامي، هذه الانحرافات "التي ظهرت لخدمة الأغراض الشخصية أو الإبقاء على أوضاع تفيد مصالح فئات قليلة على حساب الغالبية المستضعفة من البشر" (محمد عبد المجيد حنان. 2011. ص: 96).

ولقد "أعتمد في إصلاح العقيدة على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة" (محمد عبد المجيد حنان. 2011. ص: 96)، إتباعا لقوله تعالى" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" (سورة النحل: 125).

-المدخل الثاني فهو ثوري تحرري: يتعلق بتغيير النظم والعلاقات الاجتماعية.

وما هو معروف "أن القرآن الكريم هو النداء الرباني الذي حرر العقول والأفكار من أغلال العبودية التي كانوا يرسفون فيها، ووضع عنهم إصرهم الذي كانوا يرزحون تحته. وبذلك شكل الإسلام ثورة اجتماعية فاصلة بين عهدين، عهد الجاهلية وعهد الإسلام، وحدد القرآن خصائص هذه الثورة في التدرج والتجدد والعالمية والشمول" (محمد عبد المجيد حنان. 2011. ص: 96).

"ولما كانت مقاصد الشريعة تقوم على مبدأين أساسيين: الأول التيسير عند التطبيق والآخر رفع الضرر، لذلك رأى ابن تيمية أن الأصوليين عندما حصروا المصالح الكلية في الضروريات الخمس، لم ينتبهوا إلى نوع آخر من المصالح، وهو ما عبر عنه بحقوق المسلمين بعضهم على بعض، وهو ما بنى عليه بعض المحدثين

قولهم إن العدل وحقوق الفرد وحريته تدخل ضمن المقاصد الضرورية للشريعة" (محمد عبد المجيد حنان. 2011. ص: 97-98).

وعلى ذلك ترتبط مقاصد الشريعة بالمصالح، هذه الأخيرة (المصالح) تختلف من فرد لآخر، من مجتمع لآخر، من حضارة لأخرى، "وبذلك يتفق مبدأ اختلاف المصالح مع سنة التغير الاجتماعي التي لا تتعارض مع ثبات مقاصد الشريعة، فالحياة لا تتغير من جميع الوجوه، والشريعة الإسلامية قامت على أساس الحقيقة المتمثلة في وجود ثوابت ومتغيرات في الحياة، ومن ثم جاءت بأحكام مفصلة في الجوانب الثابتة، وهي أحكام لا تخضع لمبدأ التغيير والتبديل على الإطلاق"(محمد عبد المجيد حنان. 2011. ص: 98).

باختصار المفيد، الدين الإسلامي يراعي جوانب التغير والثبات في حياة الإنسان سواء على المستوى الفكري أو على المستوى الاجتماعي.

4. خاتمة

ما تم الوصول إليه في هذه المقالة هو التأكد من وجود علاقة قوية ووطيدة بين التغير الاجتماعي ومقاصد الشريعة، هذه الأخيرة (مقاصد الشريعة) ضرورية لأنها تعكس النظام الاجتماعي للمجتمع، فسلامتها واستمرارها واستقرارها يدل على سلامة واستمرار واستقرار المجتمع ككل.

هذا ما يعني مراعاة مصالح الفرد والمجتمع معا، وفي هذا السياق نجد ابن عاشور في كتابه '"مقاصد الشريعة الإسلامية' يشير إلى أن الشريعة الإسلامية عندما اهتمت بإصلاح الفرد-باعتبار هذا الإصلاح أحد مقاصد الشرع -كانت تقصد من هذا تحقيق مقصد أصلي ألا وهو أن تكون الأمة الإسلامية قوية مرهوبة الجانب مطمئنة البال"(محمد عبد المجيد حنان. 2011. ص: 95).

5. قائمة المراجع:

-القرآن الكريم.

الكتب باللغة العربية:

- الصالح مصلح. (2002).**التغير الاجتماعي وظاهرة الجريمة**. الأردن. عمان. مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى.

- خالد السعد نورة. (1997).**التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي**. المملكة العربية السعودية. الدار السعودية للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى.

-عمر الجولاني فادية.(2004). **التغير الاجتماعي -مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير**. الإسكندرية. المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع.

-محمد عبد المجيد حنان. (2011). **التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث**. الولايات المتحدة الأمريكية. فرجينيا. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. الطبعة الأولى.

الكتب باللغة الأجنبية:

-Alexis trémoulinas**.(2006). Sociologie des changements sociaux**. Paris. La découverte.

مواقع الأنترنيت:

-العبيدي عباس علي حميد. (2012). **نظرية مقاصد الشريعة وأثرها في بناء المجتمع**. ص: 1272. في موقع:

http//www.iasj.net/iasj func=fulltext&aid=71967.
Consulté le: 16/09/2019.

- سيف الدين عبد الفتاح. (2007).**المداخل الإسلامية وتشكيل علم الاجتماع**. القاهرة. مركز الدراسات المعرفية. ص: 59. في موقع:

Epistemeg.com-pix-pdf_186.
Consulté le : 16/09/2019.